Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 29:3 (1994

طبيعة النفس الانسانية

حسن الحياري

طبيعة الذات الإنسانية ومكوناتها

المقـدمة:

على الرغم من أن الحق سبحانه وتعالى بعث بنوره الساطع المنير لينير للانسان سبل الخير والرشاد ويبعده عن طرق الشر والضلال، فإن الانسان بشكل عام ادبر عن النهج الالهي المنير عبر تاريخه المديد، إذ ذهب منذ فجر تاريخه ليبحث عن بديل لهذا الحق الذي أرسله الباري عزوجل عن طريق أنبيائه نورا وهدى ورحمة للعالمين.

لذلك ذهب الإنسان في البحث عن المعضلات الأساسية المتصلة بأسرار الوجود التي لها علاقة مباشرة به وتؤثر بشكل مباشر على معتقداته في مسار حياته، ولقد أقحم نفسه في البحث عن أمور وقضايا هي في حقيقة الأمر خارج نطاق قدراته الإنسانية مما حدا به إلى التخبط في أبحر الظلمات والاعتقاد بالأوهام والخرافات، ويشهد له تاريخه الطويل بجميع الممارسات الهابطة المناهضة للحقيقة التي

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

مارسها وهو يعتقد برسوخها وصدقها، وما زالت الخلافات والتناقضات مستقرة في أذهان الناس حتى يومنا هذا حول أهم القضايا التي تؤثر بشكل حاد على معتقدات الناس وسلوكاتهم.

ومن القضايا المهمة التي حاول الإنسان منذ فجر تاريخه عن طريق البحث والتأمل والدراسة الوصول إلى مكنوناتها هي حقيقة النشأة الإنسانية وطبيعتها. وقد غصت المكتبات بالأعداد الغزيرة من الكتب والمؤلفات التي تناولت هذا الموضوع بالبحث والتدقيق بهدف الوصول إلى حقيقة الإنسان وسماته الرئيسة من أجل التعامل معه في شتى الأمور الحياتية وفق ما وصلت اليه هذه الدراسات. وسوف نبين بوضوح وجلاء في هذه الدراسة طبيعة الذات الإنسانية ومكوناتها في ضوء القرآن العربي الحكيم. وذلك بعد أن نعرض موجزاً عن الدراسات الإنسانية يبين لنا طبيعة النفس البشرية في ضوء الفكر الإنساني.

الدراسات الانسانية للانسان

حاول الانسان عبر تاريخه الحضاري ان يعي أسرار الطبيعة البشرية وسر نشأتها عن طريق العقل، والبحث، والتجريب، ومن أبرز الفلاسفة القدماء الذين نهجوا هذه السبيل سقراط وأفلاطون وأرسطو. لقد كان في اعتقاد سقراط أن النفس البشرية تحتوي على جوهر روحي مستقل عن الجسم، وما الجسم في حقيقته إلا أداة للنفس البشرية.

"انطلق أفلاطون في تصوره للطبيعة البشرية من تصوره للكون، فكما ان الكون يتكون من عالم الروح وعالم المادة، فان الطبيعة الإنسانية كذلك تتكون من العقل (الروح) والمادة (الجسم). ... وحيث أن العقل ـ من وجهة نظره ـ قادر على الاتصال بالأفكار الثابتة الأزلية الموجودة في عالم الروح، فهو يستمد ثباته وخلوده منها، ويسمو على الجسم ويسيطر عليه. أما الجسم فهو مادة متغيرة، يولد، وينمو، ويذيل، ويختفي مثل الأشياء المادية الأخرى. بناء على هذا التصور قسم ذات الانسان الى قسمين منفصلين لكل منهما خصائصه ووظائفه، كما قسم المجتمع الى قسمين رئيسين، قسم يتميز بسمو عقله، والعقل هو الجزء الوحيد في الطبيعة الانسانية الذي يتصل أساسا بالروح، والذين يتصرفون وفقا لأوامر هذا الجزء هم الفلاسفة، وبالتالي يحق لهم التعليم وقيادة المجتمع وادارته. أما القسم الآخر فهم الذين تتغلب عليهم نزواتهم الجسمية، ويقسمهم الى جزئين: جزء شريف تتحكم فيه دوافع الشجاعة والمثابرة ومركزها القلب وعملهم الجندية، والجزء الوضيع وتتحكم فيه الشهوات والرغبات التي تتعلق بالإشباع الجسمي ومركزه البطن. وهؤلاء لا يلائمهم إلا أن يكونوا عمالا أو صناعاً"[١].

"أما أرسطو فإنه يرى أن الإنسان مسير بمجموعة من الغرائز التي يولد بها وتتكون طبيعته من خصائص نباتية، وتمثل فيه جانب النمو والتوالد والذبول والموت، وطبيعة حيوانية، وتمثل فيه جانب الرغبات والانطباعات الحسية والحركة والنشاط، وطبيعة انسانية،

وتتميز بالعقل، وعبر عن هذا الجانب بعبارته المشهورة "الانسان حيوان عاقل"، والعقل عنده يتكون من العقل الأدنى وهو المسؤول عن القرارات الخلقية والعملية التي يعبر عنها الانسان في سلوكه. والعقل الأعلى أو النظري الذي يكتسب به الانسان المعرفة الشاملة الخالدة"(٢).

"لا توجد الروح والمادة في الانسان منفصلتين أو مستقلتين احداهما عن الأخرى، وانما هما ممتزجتان معاً في وحدة متكاملة متناسقة، وتتكون من هذا المزيج المتكامل المتناسق ذات الانسان وشخصيته. ونحن لا نستطيع أن نفهم شخصية الانسان فهما دقيقاً إلا بالنظر إلى هذا الكيان الانساني بأكمله، المكون من امتزاج عنصري المادة والروح"(٣).

"يعتقد توماس هوبز أن طبيعة الانسان شريرة، وأنه ذئب تجاه أخيه الانسان. وهو بفطرته يسعى وراء اللذة ويتجنب الألم. وميز هوبز ثلاثة اشياء تدفع الإنسان الى النزاع والقتال وهي: المنافسة وسوء الظن وحب المجد والفخر. فالمنافسة تدفع الناس الى الالتجاء الى العنف ليسودوا غيرهم، وسوء الظن يمارسه الإنسان حتى يحمي نفسه، ولن يشبع حبه للمجد والتفاخر بالمال والأنساب والألقاب إلا بالعنف وسوء الظن"(٤).

"يرى جان جاك روسو أن الإنسان خير لأنه من صنع الله، ومن ثم فان النمو السليم له يكمن في اتباع قوانين الطبيعة، وان مصدر الشر يكمن في المجتمع عندما يتدخل الكبار في المجتمع

بمعاييرهم وقيمهم، ليفسد نمو الطفل، وينحرف بشخصيته واتجاهاته الطبيعية"(٥).

"يعتقد جون لوك أن الإنسان يولد بعقل كالصفحة البيضاء الخالية من الأفكار الفطرية والمعاني الاولية. إلا انه مزود بعدة ملكات لها استعداد للقيام بكل شيئ اذا ما هذبت والوسيلة الوحيدة لتهذيبها وجعلها تؤتي ثمارها هي التدريب وتكوين العادات الطبية"(٦).

"وقد تطورت نظرية الملكات ... وقالوا ان هناك مبدءاً ديناميكيا ومحركا ذاتيا يدفع الطبيعة البشرية للعمل، وهو الذي يؤدي بها إلى النضج، وقد أطلقوا عليه تسمية "النفس"، وهذه النفس باعتبارها مبدءاً متحداً واحداً تنطوي على عدد من الملكات، والملكة تعني القدرة على العمل، وهذه الملكات أو القدرات نوعان: ملكات جسمية، وملكات عقلية. فعن طريق الملكات الجسمية فان النفس تحس وتشعر وترغب وعن طريق الملكات العقلية فان النفس تتذكر وتتخيل وتعقل. وهناك تدرج فى الملكات في الطبيعة البشرية، حيث أن الملكات أو القدرات الجسمية دعامة للعقلية"(٧).

"وقد اختلفت النظرة إلى الطبيعة الانسانية اختلافاً كبيراً. ونظر إليها الفلاسفة والمفكرون من زوايا متعددة فهناك تصور الطبيعة الانسانية على انها شيئ واحد ثابت في الأزمنة والعصور. وأن الانسان هو الإنسان حيث ما وجد، وهناك من نادى بأن الطبيعة

الانسانية تختلف بأختلاف الأفـراد أنفسـهم وبـإختلاف إسـتعداداتهم وقدراتهم"(٨).

"فذهب البعض إلى أن الإنسـان ليـس فـي حقيقتـه إلا ظـاهرة مادية شديدة التعقيد، مركب من المواد الكيميائية التي نشأت بسـبب تطور المادة"(٩).

يرى الطبيعيون والكيمـاويون ان الانسـان بنـاء مـادي يخضـع لنفـس القوانيـن الفيزيقيـة والكيماويـة التـي تخضـع لهـا الجمـادات، والنباتات، والحيوانات. فللانسان حجم، ووزن، وشكل، ولون. كما انه يحتل مكانا ويشغل زمانـا، ولذلـك ينبغـي ان تنطبـق عليـه قوانيـن الفيزيقا التي تنطبق على الأشياء المادية كقانون الجاذبية وغيره. كمـا ان هنـاك اتصـالا مسـتمراً بيـن جسـم الانسـان وبيـن البيئـة المحيطـة به"(١٠).

وقد قام هوارد في كتابه ـ الدراسة الصحيحة للجنس البشري ـ بتحديد محتويات الجسم البشري وقال إنه يتألف من المواد التالية: ماء يكفي ملء برميل يسع عشرة جالونات. دهن يكفي لصنع سبائك من الصابون. كربون يكفي لصنع ٩٠٠٠ قلم من الرصاص. فوسـفور يكفي لصنع ٢٢٠٠ رأس من رؤوس عيدان الكـبريت. حديـد يكفـي لصنع مسمار متوسط الحجم. كلـس يكفـي لبيـاض (تقفيصـة) فـراخ كميات ضئيلة من الكبريت والمغنيسـيوم، فـاذا جمعـت هـذه المـواد وخلط بعضها بالبعض الآخر بنسب صحيحة وطريقة دقيقة كان نـاتج هذا الخليط انسان لا محالة"(١١).

"يرى البيولوجيون ان الانسان احد السلالات الحيوانية التي تمثل اعلى صورة من صور التطور في سلسلة الكائنات الحية. والخلية الحية هي وحدة جسمه، كما هو الحال في سائر النباتات والحيوانات. وله من الخصائص الكثير مما يشترك فيه مع الحيوانات الأخرى: انه يأكل ، وينمو، ويتناسل، ويحس ويتكيف، ويتحرك"(١٢).

أما اصحاب الاتجاه الغرائزي فانهم يرون ان الطبيعة البشرية مجموعة من الغرائز "وقد اختلف المنادون بهذا الاتجاه على عددها فمنهم من رأى انها واحدة كغريزة حب الذات أو الغريزة الجنسية، وقد رأى آخرون بأنها تصل الى حوالي الثلاثين (وليم جيمس)، وارتفع بها ثورندايك الى الاربعين، وقال غيره بأنها ثمان وأربعون. وقد هبط بها آخرون الى غريزتين رئيسيتين. وقد اطلق عليها آخرون اسم الدوافع الفطرية وميزوا منها نوعين: الحاجات الفسيولوجية، والحاجات النفسية، وهذه تشمل الحاجات الاجتماعية ... والغرائز الفطرية موجودة عند جميع الناس، لا تعلم ولا تكتسب، لكن يولد الفرد مزوداً بها ... وقد قامت نظرية الغرائز على أساس أن هناك تشابها بين غرائز الانسان وغرائز الحيوانات الدنيا ... ان الطبيعة البيولوجية للانسان هي أساس طبيعته الانسانية. وينبغي ان نركز جهودنا في التعرف على حاجات هذا الانسان الأساسية وقدراته ودوافعه الأولية، حتى نتمكن من تحديد المباديء التي تؤثر في نموه وطرق تعلمه"(١٣).

يرى أقطاب الاتجاه السلوكي أنه لكي نحصل على نتائج موضوعية تماما فيما يختص بالطبيعة الانسانية ووظيفتها يجب التركيز على السلوك السافر، وعلى هذا يتميز المذهب السلوكي بصفة عامة باتجاهين: الاول ـ وهو تطبيق الأسلوب العلمي بمعناه الميكانيكي على ميدان السلوك والتخلص من التغيرات والمفاهيم الغيبية، والثاني ـ استخدام الحيوان في البحوث والتجارب بقصد دراسة وفهم السلوك عند الانسان. لذلك يعتقدون أنه ليس لمصطلح العقل او الضمير أي مضمون حقيقي. وما العقل إلا شكلا من أشكال السلوك. ومن ثم فانهم يركزون على النشاط العضلي والعصبي ... فالانسان آلة دقيقة معقدة، وهدفهم الكشف عن القوانين التي تكمن وراء نشاط هذه الآلة. ومن أمثلة هؤلاء ثورندايك الذي حاول الوصول الى قوانين التعلم عند الانسان حتى يستطيع ان يتحكم في هذا العالم ويوجهه ... كما قام بافلوف بجهود مشابهة وتوصل الى نظرية التعلم الشرطي التي توضح ان عملية التعلم آلية صرفه ... اما السلوك الانساني فهو في رأيهم حركات ميكانيكية آلية تتركز حول الميثرات والاستجابات والافعال المنعكسة وقوانين الترابط"(١٤).

"أما الوجوديون فيرون أن الانسان يسمو فوق ذاته وثقافته، ويرون أن مركز الوجود ليس الحقيقة، أو القوانين، أو المباديء، أو الجوهر، أو الماهية، ولكن الإنسان ذاته. فالإنسان يتميز بالقدرة على اتخاذ القرارات، والإرادة، والاختيار. فاذا كان سكنر مثلا يرى ان الانسان كائن من الممكن ضبطه وتسييره فان سارتر من الجانب

الوجودي يرى أن الانسان كائن سام يستجيب لنفسه فقط ومسؤول عن أعماله. ومن ثم فإن الثقافة لا تحتم قدر الانسان، ولكن الانسان هو الذي يضع الثقافة وبالتالي فهو سيدها. إن الإنسان في نظرهم هو الذي يفرض معناه على الكون. بالرغم من أن الكون يعمل بطريقة سليمة من دونه. وليس هناك مكان للأفكار الذاتية الأفلاطونية أو الحقيقة الأولية"(١٥).

لقد تأثرت الحضارة الإنسانية في مختلف مجالاتها وفروعها تأثرا قويا بالدراسات الانسانية حول الإنسان وطبيعته مما أدى إلى انتشار الأفكار والمعتقدات المتضادة التي قادت الإنسان إلى اختيار الأنماط السلوكية المتعددة في تحقيق أهدافه وإشباع شهواته بالوسائل التي تمليها عليه أفكاره ومعتقداته. فقد ظهر الاستكبار، والاستعلاء، والتفوق العرقي، وثارت الفتن، ودارت الحروب، وانتشر السلب والقتل، وحب السيطرة والظهور على حساب الشعوب المستضعفة، واستسلم الضعيف لأهواء القوي وشهواته، واختلفت النظم والقوانين، وتاهت العقول البشرية في أبحر الظلمات وهي تحاول الوصول الى جذور النفس البشرية وسماتها.

لقد كان للمفاهيم السابقة للطبيعة الانسانية آثارها البعيدة المدى على المجتمعات البشرية وخاصة في العملية التربوية التي ينمو أبناء المجتمع ويترعرعون في ظلالها على مدى مراحل العمر المختلفة. لقد كان للتصورات الأفلاطونية أثرهما المباشر على التربية إذ أصبح هدفها الأساسي العناية بتدريب العقل وتنميته بالمواد

الأساسية المتمثلة بالفلسفة والمنطق والرياضيات، والدراسات المتعلقة بالتراث البشري المشترك. ويصاحب ذلك، الأمور التي تتعلق بالنشاط الجسماني من أعمال يدوية فقد أصبح ينظر إليها نظرة دونية. أضف إلى ذلك أن التربية في ضوء التصور الأفلاطوني يجب أن تكون واحدة في جميع المجتمعات.

أما بالنسبة للذين اعتقدوا بأن الطبيعة البشرية شريرة فقد انعكس ذلك على تربية الإنسان تربية تتسم بالعنف والقسوة، وايقاع مختلف أصناف العذاب على جسمه وروحه. والذين نادوا بأن الطبيعة الإنسانية خيرة فقد انعكس ذلك على اعترافهم بضرورة جعل الطفل محورا للعملية التربوية. أما فكرة أن الانسان صفحة بيضاء فقد كان لها أثرها التربوي على العملية التربوية إذ ساد الاعتقاد أن العملية التربوية يجب أن تركز على تدريب الملكات عن طريق المران، والتكرار، والممارسة.

"لقد ترتب على التصور المادي للإنسان الاتجاه الى تفسير سلوكه تفسيراً طبيعياً. ولعل أهم هذه التفسيرات التفسير السلوكي القائم على نظرية دارون عن التطور وأصل الأنواع. هذه النظرية التي ترى أن الانسان يمثل أعلى حلقة في سلم التطور البيولوجي ... وأصبح معنى هذا أنه لكي نعرف السلوك الإنساني على حقيقته يجب أن ندرس ونعرف السلوك الحيواني. واتجه العلماء بذلك إلى دراسة هذا السلوك الحيواني لعلهم يستنتجون منه القوانين والنظريات الخاصة بالسلوك الإنساني"(١٦).

وقد تأثرت أيضا العلوم الإنسانية بالمفاهيم التي تداولها الفلاسفة العقليون والتجريبيون حول الطبيعة البشرية. "فعلماء الاجتماع وعلماء النفس الاجتماعي يعتبرون الإنسان حيواناً اجتماعياً ... ويرون أنه مخلوق يسعى إلى السلطة والسيطرة. ومن ثم يوجهون الكثير من اهتمامهم إلى الطرق المتعددة للوصول إلى السلطة كالقوة، والدعاية. والتهديد، والوعود، والضغوط الاقتصادية والاجتماعية التي يؤثر بها الفرد في المجتمع. ويؤثر بها المجتمع في الفرد. بعد هذا نجد الانثروبولوجيين الذين يهتمون بوصف الأنماط البشرية المتعددة.. فهم يرون الإنسان كموجود، ذا حاجات بيولوجية واجتماعية أساسية، يتم التعبير عنها وإرضاؤها بطرق متعددة، وذلك طبقا للظروف البيئية والتاريخية التي يمر بها الإنسان. أما الجغرافيون فيدرسون الإنسان من حيث صلته بالأرض ومن ثم يشيرون إلى أن السلوك البشري محكوم وموجه بعوامل مثل المناخ والطعام، ومدى سهولة المواصلات أو صعوبتها، وتوزيع المصادر الطبيعية... وللمؤرخين نظرة أخرى. فهم يرون أن الإنسان كائن يعيش الحاضر بذاكرة الماضي. وتوقع المستقبل، ومن ثم يحاولون فهم المعنى الحقيقي للأحداث الماضية عن طريق إعادة بناء الحياة الواعية للأشخاص الذين صنعوا تلك الأحداث"(١٧).

وهكذا ذهب الإنسان بناء على دراساته وتصوراته لطبيعة الإنسان في تطبيق النظريات والأساليب العلمية التي تجزم وتؤكد أن الإنسان انحدر من أصل حيواني مثل نظرية دارون. بل ذهب كارل

ماركس الى الدليل على أن عقلية الإنسان وليدة الوسط المادي الذي يعيش فيه. كما ذهب فرويد إلى أبعد من ذلك عندما أراد أن يؤكد أن الإنسان ليس منحدرا من الحيوان فحسب، بل إن عقليته مازالت تحتفظ حتى اليوم ببعض الرواسب من أصله الحيواني. لذلك فإن الإنسان في ماهيته وأساسه حيوان قادر على التقدم.

وقد عبر الكسيس كارل في كتابه ـ الإنسان ذلك المجهول ـ عن الدراسات الإنسانية التي حاولت أن توضح لنا طبيعة الإنسان فقال: لقد بذل الجنس البشري مجهودا جبارا لكي يعرف نفسه، ولكنه بالرغم من اننا نملك كنزا من الملاحظات التي كدسها العلماء، والفلاسفة، والشعراء، وكبار الروحانيين في جميع الأزمان، فاننا استطعنا أن نفهم جوانب معينة فقط من أنفسنا... إننا لا نفهم الإنسان ككل... إننا نعرفه على أنه مكون من أجزاء مختلفة. وحتى هذه الأجزاء ابتدعتها وسائلنا، فكل واحد منا مكون من مركب من الأشباح تسير في وسطها حقيقة مجهولة"(١٨).

وقد انتقد اريك فروم الدراسات السلوكية والنفسية قائلا: إن اهتمام علم النفس الحديث ينصب في أغلب الأحيان على مشكلات تافهة تتمشى مع منهج علمي مزعوم، وذلك بدلا من أن يضع مناهج جديدة لدراسة مشكلات الإنسان الهامة. وهكذا أصبح علم النفس يفتقر إلى موضوعه الرئيسي وهو الروح. وكان معنيا بالمكانيزمات وتكوينات رودود الأفعال والغرائز، دون أن يعنى بالظواهر الأساسية

الممـيزة أشـد التميـيز للإنسـان: كـالحب، والعقـل، والشـعور، والقيم"(١٩).

وقد عرف قسم من علماء النفس الـذات الانسـانية بطريقتهـم الخاصة التي تنسجم مع اعتقاداتهم ومفاهيمهم للذات الانسانية حيث يعرفها حامد زهران بأنها "الشعور والوعي بكينونـة الفـرد، كمـا أنهـا تنمو وتنفصل تدريجياً عن المجال الادراكي، وتتكـون بنيتهـا كنتـاج للتفاعل مع البيئة، وان الـذات تشـمل الـذات المدركـة، والـذات مـن تصور الآخرين، والذات المثالية، وانها قد تمتص قيم الآخرين وتسعى إلى التوافق والثبات، وتنمو نتيجة للنضج والتعلم"(٢٠).

وقد عرفت الذات الانسانية على انها "مركـب مـن عـدد مـن الحـالات النفسـية، والانطباعـات، والمشـاعر، وتشـمل مـا تتضمنـه كلمات أنا، لي، ذاتي، وتمثل فـي كـل منـا الجوهـر الـذي يقبـع فـي اساس معاناة الانسان وتجربته ككائن انساني مدرك"(٢١).

اما سعدية بهادر فتعـرف الـذات الانسـانية بانهـا "هـي الجـزء الواعـي المـدرك مـن كيـان الشـخصية الانسـانية التـي يمكـن رؤيتهـا والتعرف عليها"(٢٢).

ويعرف مفهوم الذات على انه "مفهوم افتراضي شامل يتضمن جميع الافكار والمشاعر عند الفرد التي تعـبر عـن خصـائص جسـمية وعقلية وشخصية، وتشمل معتقداته وقيمه وخبراته وطموحاته"(٢٣).

كما يعرفه بورنز على أنه "تجريد يطوره الفرد بشأن خصائصه وقدراته، وأشيائه، ونشاطاته التي يمتلكها، والتي تحيط بها، والتي تكون مشتقة من خبراته السابقة وقيمه"(٢٤).

ومما تجدر الإشارة إليه أن علماء النفس قد وجهوا اهتماماتهم إلى دراسة الظواهر النفسية التي يمكن ملاحظتها ودراستها بطريقة موضوعية. فقد تركزت دراساتهم وبحوثهم حول حاجات الإنسان الفسيولوجية، وحاجات الإنسان المتعلقة بتوافقه الاجتماعي والشخصي وفق متطلبات البيئة الاجتماعية والثقافية التي ينشأ فيها. وبذلك أبعدوا الجانب المعنوي الذي يشكل الجزء الأهم في النفس البشرية عن دراساتهم برغم أنه أهم ما يتميز به الإنسان عن الحيوان، هذا بجانب ما ينبعث عن الجانب المعنوي من أهداف وحاجات إنسانية نبيلة تجعل الإنسان نموذجا فريدا في تكوينه وطبيعته في هذا الكون، لذلك يجب أن توجه كافة الدراسات الإنسانية التي تحاول ان تصل إلى طبيعة الإنسان وخصائصه إلى تناول الإنسان ككل بجانبيه المادي والمعنوي وليس جانبا واحدا. هذا بجانب الاعتماد التام على ما وصلنا من الحق سبحانه وتعالى من حقائق متصلة بالإنسان وصفاته. والحق أن الإنسان قد حقق نجاحات باهرة في دراسة الجوانب الفسيولوجية والتشريحية للإنسان، ولكن هذه الدراسات الجزئية للإنسان بالرغم من فوائدها الجمة بالنسبة لنا في حياتنا المعاصرة، فإنها لن تقودنا للوصول الى طبيعة النفس

الإنسانية وخصائصها لاعتمادها فقط على الجانب المادي في الإنسان.

طبيعة النفس الإنسانية وتكوينها في ضوء القرآن الكريم

لقد بين لنا الباري عزوجل القضايا الأساسية المتعلقة بطبيعة النفس الإنسانية وخصائصها في كتابه المنير بصورة واضحة ودقيقة لا تدع مجالا للشك عند كل من يريد أن يصل إلى لباب تلك القضايا التي مازال أغلبها غامضا أو غائبا عن أذهان العلماء والباحثين في مجال الدراسات الإنسانية، وتشكل في بعض الأحيان قواعد الاختلاف والتضاد فيما بينهم. فالحق سبحانه وتعالى خاطب النفس الإنسانية في كتابه العزيز بمفردات عدة وهي: الإنسان، والناس، والبشر، والإنس، والعباد، والنفس، وبني آدم، كما بين لنا مراحل خلق النفس الانسانية وما جسد فيها من قدرات، وقوي، وملكات، وصفات، وأنواع، والهدف من خلقها. وهذا ما نريد أن نوضحه جميعا في هذه الدراسة.

القضية الأولى ـ خلق الإنسان

في الوقت الذي احتار فيه العلماء والباحثون في دراساتهم حول قضية خلق الإنسان فإن الله سبحانه وتعالى بين لنا بوضوح وجلاء في كتابه الحكيم جميع ما يلزمنا حول قضية الخلق ومكنوناتها. وكما نعلم جميعاً فإن القرآن الكريم هو كلام الله سبحانه وتعالى، لذلك فإن هذا الكتاب الحكيم يتميز عن بقية البحوث والدراسات الإنسانية للإنسان، لأن الحق سبحانه وتعالى

خالق الإنسان يعلم وحده خفايا النفس البشرية ومكنوناتها، والنفس البشرية هنا تعنى البشر كافة عبر تاريخهم وليس عينة منهم كما يفعل الباحثون في دراساتهم. كما ان الحق سبحانه بين لنا حقيقة النفس الإنسانية وطبيعتها عبر أطوارها الحياتية وامتدادها التاريخي بما فيه الحاضر والمستقبل. هذا بالإضافة إلى أن قول الحق سبحانه وتعالى يخلو من أهواء الباحثين الشخصية والفكرية منها التي ترى في الجدال موردا فياضا للابتعاد عن الحقيقة.

لقد بين لنا القرآن الحكيم مجموعة من الحقائق الأساسية المتصلة بخلق الإنسان في مراحل متعددة ابتداء من المرحلة التي لم يكن الإنسان فيها شيئا مذكورا حتى مرحلة التناسل والتكاثر التي نعيشها جميعا مرورا بخلق آدم وحواء عليهما السلام.

وسوف نورد هذه الأطوار والمراحل كما وضحها الأستاذ عبدالرحمن الميداني في كتابه "الأخلاق الاسلامية وأسسها" وهي على النحو التالي:[٢٥]

١- يشير القرآن الى مرحلة زمنية لم يكن الإنسان شيئا فيها مذكورا ثم وجد.

قال تعالى:

﴿هل أتى على الإنسان حينٌ من الدّهر لم يكن شيئا مذكورا﴾[٢٦].

فقد مر عليه حين من الدهر السحيق في أغوار الزمن الماضي لم يكن للإنسان فيه وجود. وقد جاء البيان على طريقة التساؤل لانتزاع

الجواب من منصفي أهل العلم وأهل النظر. والجـواب الحتمـي: نعـم لقد أتى على الإنسان حين من الدهر لـم يكـن شـيئا مذكـورا. إذ لـو كان له وجود لعرف هذا الوجود.

٢- ويلفت القرآن الكريم النظر إلى أن الماء هو العنصر الأول من العناصر المادية التي تكون منها خلق جسد الإنسان. كما هو العنصـر الأول الذي خلـق منـه كـل كـائن حـادث. ودل علـى هـذه الحقيقـة نصوص متعددة من القرآن الكريم.

قال تعالى:

﴿وجعلنا من الماء كلّ شيئ حيّ أفلا يؤمنون﴾(٢٧).

قال تعالى:

﴿واللّه خلق كـل دآبـة مـن مـاء فمنهـم مـن يّمشـي علـى بطنه ومنهم من يمشـي علـى أربـع يخلـق اللـه مـا يشـاء إن الله على كل شيئ قدير﴾(٢٨).

قال تعالى:

﴿وهـو الـذي خلـق مـن المـاء بشـراً فجعلـه نسـباً وصهـراً وكان ربك قديراً﴾(٢٩).

٣- كما يلفت القرآن الانتباه إلى أن التراب هو العنصر الثاني مـن العناصر التي تكون منها خلق جسـد الإنسـان، فالإنسـان الأول كـان التراب عنصرا من عناصر تكوين خلقه.

قال تعالى:

﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾(٣٠).

والتراب عنصر من عناصر تكوين كل إنسان بعد آدم إذ من التراب النبات، ومن النبات الغذاء، ومن الغذاء الدم، ومن الدم النطفة، ومن النطفة الجنين.

يقول تعالى:

﴿والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا﴾(٣١).

ويقول تعالى:

﴿هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشُدّكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا اجلا مسمى ولعلكم تعقلون﴾(٣٢).

ويقول تعالى:

﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾(٣٣).

٤- ويشير القرآن الكريم إلى خلق الإنسان من طين. والطين هو امتزاج عنصري الماء والتراب.

قال تعالى:

﴿ ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون﴾(٣٤).

وقد وصف الله الطين في بدء خلق الإنسان الأول بأنه طين لازب أي لاصق بعضه ببعض متماسك لزج.

قال تعالى:

﴿انا خلقناهم من طين لازب﴾(٣٥).

٥- ثم تأتي بعد مرحلة الطين اللازب مرحلة الحمأ المسنون. والحمأ هو الطين الذي تغير واسود بطول مجاورة الماء والمسنون هو المصدر.

قال تعالى:

﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون﴾(٣٦).

٦- بعد ذلك تأتي مرحلة جفاف الطين حتى يصير صلصالا والصلصال هو الطين اليابس غير المطبوخ، هذا الصلصال يشبه الفخار إلا أنه ليس فخارا لأن الفخار مطبوخ بالنار.

قال تعالى:

﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخّار﴾(٣٧).

٧- ثم تأتي مرحلة نفخ الروح بعد أن صارت الطينة ذات صورة بشرية كاملة.

قال تعالى:

﴿**إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين**﴾(٣٨).

٨- حتى إذا تم خلق الإنسان الأول آدم عليه السلام يشير القرآن الكريم إلى أن الله سبحانه وتعالى خلق منه زوجه.

قال تعالى:

﴿**هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها**﴾(٣٩).

وقال تعالى:

﴿**خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها**﴾(٤٠).

وقال تعالى:

﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام. إن الله كان عليكم رقيبا**﴾(٤١).

والحق أن ليس في كتاب الله إشارة إلى كيفية الخلق تلك.

٩- ثم يلفت القرآن الكريم الإنتباه الى خلق السلالات البشرية بعد خلق الإنسان الأول وزوجه.

قال تعالى:

﴿**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقه فخلقنا العلقة مضغة**

فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾[٤٢].

وإذا كانت كيفية خلق الإنسان الأول غيبا لم يطلع الله الإنسان عليه فان الحقائق التي تتعلق بخلق السلالات الإنسانية بعد خلق آدم وزوجه بدءاً من مرحلة النطفة ومرورا بمرحلة العلقة فالمضغة فخلق العظام وما يتبع ذلك من بناء اللحم على العظام. هذه الحقائق تخضع لإمكان البحث الإنساني. وقد أصبحت الآن معروفة بل إن البحث العلمي أثبت في جلاء هذه الحقائق.

يبدو بوضوح وجلاء من خلال الآيات الحكيمة السابقة أن الإنسان مكون من الجسم والروح التي نفخها فيه الحق سبحانه وتعالى من روحه. وتجدر الإشارة هنا أن الحق سبحانه وتعالى في مختلف الظروف والأزمان خاطب الإنسان بأكمله وحدة متكاملة بين الجسم والروح، هذه الوحدة التي تكون ذات الإنسان. ولم يخاطب الحق سبحانه وتعالى جزءا من الإنسان في أي ظرف من الظروف ولا في أي مرحلة من المراحل. وعلى هذا الأساس يجب أن ننظر إلى الإنسان سواء في مجال الدراسات الإنسانية أو في مجال التفاعل الاجتماعي.

القضية الثانية ـ الذات الإنسانية والهدف من خلقها

مهما تعددت الآراء والأقوال حول هدف أو مجموعة أهداف الإنسان في هذا الوجود تبقى كلمة الفصل في هذا الموضوع الهام إلى خالق الإنسان، فهو الذي خلقه بهذه القدرات والمواصفات،

وخلقه في هذه الصورة البديعة المميزة عن باقي المخلوقات التي خلقها. فقد بين الحق سبحانه وتعالى الهدف الأسمى من خلق الانسان في كتابه العربي المنير حيث يقول عز من قائل:

﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون﴾(٤٣).

"إن هذا النص الصغير ليحتوي حقيقة ضخمة هائلة، من أضخم الحقائق الكونية التي لا تستقيم حياة البشر في الأرض بدون إدراكها واستيقانها، سواء كانت حياة فرد أم جماعة ام حياة الإنسانية كلها في جميع أدوارها وأعصارها. وإنه ليفتح جوانب وزوايا متعددة من المعاني والمرامي تندرج كلها تحت هذه الحقيقة التي تعد حجر الأساس الذي تقوم عليه الحياة، وأول جانب من جوانب هذه الحقيقة أن هنالك غاية معينة لوجود الجن والإنس تتمثل في وظيفة، من قام بها وأداها فقد حقق غاية وجوده، ومن قصر فيها أو نكل عنها فقد أبطل غاية وجوده، وأصبح بلا وظيفة، وباتت حياته فارغة من القصد، خاوية من معناها الأصيل، الذي تستمد منه قيمتها الأولى، وقد انفلت من الناموس الذي خرج به الى الوجود، وانتهى إلى الضياع المطلق، الذي يصيب كل كائن ينفلت من ناموس الوجود، الذي يربطه ويحفظه ويكفل له البقاء.هذه الوظيفة المعينة التي تربط الجن والإنس بناموس الوجود، هي العبادة لله.. أن يكون هناك عبد ورب، عبد يعبد، ورب يعبد، وأن تستقيم حياة العبد كلها.على أساس هذا الاعتبار"(٤٤).

القضية الثالثة ـ الذات الإنسانية والفطرة:

إن الباري عزوجل فطر الإنسان على عقيدة التوحيد به دون غيره من الأنداد التي اتخذها الغافلون من البشر من دون الله سبحانه وتعالى. وهذه الفطرة التي فطرت عليها الذات الإنسانية تنسجم بشكل متناسق ومتزن مع الهدف الأسنى الذي خلق من أجله الإنسان وهو عبادة الباري عزوجل. وتبدو مسألة الفطرة واضحة جلية في مدلول الآيتين الحكيمتين التاليتين:

قال تعالى:

﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾(٤٥).

قال تعالى:

﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾(٤٦).

"تعرض هذه الآية قضية التوحيد من زاوية جديدة عميقة، تعرضها من زاوية الفطرة التي فطر الله عليها البشر، وأخذ بها عليهم الميثاق في ذات أنفسهم، وذات تكوينهم، وهم بعد في عالم الذر.

إن الاعتراف بربوبية الله وحده فطرة في الكيان البشري، فطرة أودعها الخالق في هذه الكينونة وشهدت بها على نفسها بحكم وجودها ذاته. وحكم ما تستشعره في أعماقها من هذه الحقيقة، أما

الرسالات فتذكير وتحذير لمن ينحرفون عن فطرتهم الأولى، فيحتاجون إلى التذكير والتحذير. إن التوحيد ميثاق معقود بين فطرة البشر وخالق البشر منذ كينونتهم الأولى، فلا حجة لهم في نقض الميثاق ـ حتى لو لم يبعث اليهم بالرسل يذكرونهم ويحذروهم ـ ولكن رحمته وحدها اقتضت ألا يكلهم إلى فطرتهم هذه فقد تنحرف، وألا يكلهم كذلك إلى عقولهم التي أعطاها لهم فقد تضل، وأن يبعث إليهم رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل"(٤٧).

القضية الرابعة ـ الذات الإنسانية وجانبا الخير والشر:

إن الحق سبحانه وتعالى الذي بين لنا في كتابه العزيز خلق الإنسان بمراحلة المختلفة، كما بين لنا الهدف من خلقه والفطرة التي جسدها في الذات الإنسانية، فقد بين لنا أيضا أن النفس الإنسانية ركب فيها جانبا الفجور والتقوى، حيث يقود جانب الفجور فيها الإنسان إلى اتباع عدوه اللدود إبليس والابتعاد عن النهج الإلهي المنير الذي بعثه الحق سبحانه وتعالى هدى ورحمة للناس أجمعين، أما جانب التقوى الذي وشجت عليه النفس الإنسانية، فيقود ذات الإنسان إلى الإنابة للخط الإلهي والاستقامة عليه واتباع تعليماته في شتى أمور الحياة، فشاء الحق سبحانه وتعالى أن يلهم النفس الإنسانية كلا الجانبين جانب التقوى الذي يؤدي إلى كل ما فيه خير للإنسان وجانب الفجور الذي يقود الإنسان الى كل ما فيه شر للإنسان.

قال تعالى:

﴿ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها﴾(٤٨).

قال تعالى:

﴿وهديناه النّجدين﴾(٤٩).

القضية الخامسة ـ الذات الإنسانية وحرية الاختيار:

لقد خص الحق سبحانه وتعالى الإنس والجن دون سائر مخلوقاته بحرية الاختيار بين طريق الحق وطريق الضلالة. لذلك أصبح الإنسان كائنا مميزا بهذه الحرية التي منحها له الحق سبحانه وتعالى بعد أن وهبه الملكة العقلية التي يستطيع بوساطتها أن يميز بين الحق والباطل، وبعد أن وضح له الحق أنصح توضيح وبأسمى المعانى والدلالات عن طريق بعث الرسل والكتب السماوية، كما بين الباطل والسبل المؤدية إليه، فالإنسان الذي فطر على دين التوحيد وركب في ذاته جانبا الفجور والتقوى، أعطى حرية الاختيار في اتباع أي الجانبين يشاء. والحق سبحانه وتعالى يمد له في كل جانب اختاره بحرية تامة دون إملاء او فرض من أية قوة أخرى، فهذا الاختيار هو فقط للإنسان، وفي ضوء هذا الاختيار سيحدد مصير الإنسان في الدنيا والآخرة، والآيات الكريمة التالية تدل بوضوح وجلاء على حرية الاختيار التي وهبها الباري عزوجل للإنسان.

قال تعالى:

﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾(٥٠).

قال تعالى:

﴿قل يا أيها الناس قد جاءكم الحقّ من ربّكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها وما أنا عليكم بوكيل﴾(٥١).

قال تعالى:

﴿إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحقّ فمن اهتدى فلنفسه ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها وما أنت عليهم بوكيل﴾(٥٢).

قال تعالى:

﴿يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون﴾(٥٣).

قال تعالى:

﴿لا إكراه في الدّين قد تبيّن الرّشد من الغيّ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾(٥٤).

هذه نماذج من الآيات القرآنية الحكيمة التي تدل بصورة قاطعة على حرية الاختيار التي وهبها الحق سبحانه وتعالى للإنسان والتي يستطيع من خلالها أن يختار بين الإيمان وبين الكفر، بين الخير وبين الشر، وبين اتباع النهج الإلهى وبين اتباع النهج البشري، بين الحق وبين الباطل، بين الدخول في حزب الله والانضواء تحت

رايته وبين الانضمام إلى حزب الشيطان والسير على نهجة فهذا الاختيار من بدايته إلى نهايته هو للإنسان وفي ضوء اختياره يتم حسابه في اليوم الآخر.

القضية السادسة ـ حالات الذات الإنسانية إعتقاداً وسلوكاً

إن طبيعة الذات الانسانية وما تجسد فيها من قدرات عقلية وحرية اختيار، وحب الشهوات، وجانبي الفجور والتقوى، بالإضافة الى طبيعة الحياة الدنيا، وحقيقة الآخرة وما يحصل فيها من ثواب وعقاب للإنس والجن، جعلت النفس الإنسانية تقسم إلى نوعين: النوع الأول هو الذي اختار أن يسير في ضوء النهج الإلهي الذي بعثه الحق سبحانه وتعالى هدى ورحمة للعالمين فاتخذ جانب الخير والتقوى الذي وشجت عليه النفس الإنسانية وفي كل مرة يقع فيها الإنسان في خطأ ما فإن توجيه اللوم للذات الإنسانية يكون من شمائل هذه النفس. لذلك سماها الحق سبحانه وتعالى بالنفس اللوّامة، وهي التي تلوم ذاتها عندما تقع في خطأ معين.

قال تعالى:

﴿لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوّامة﴾(٥٥).

وهذه النفس اللوامة عندما تبعث للحساب في اليوم الآخر وصفها الحق سبحانه وتعالى بالنفس المطمئنة لما قدمت من أعمال لذاتها في الحياة الدنيا "دار البلاء والفناء" لتنعم في دار الآخرة، فأعمالها الخيرة في الحياة الدنيا جعلتها تطمئن إلى مصيرها في اليوم الآخر.

قال تعالى:

﴿يا أيتها النّفس المطمئنّة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنّتي﴾(٥٦).

وعندما يقوم الإنسان باختيار جانب الخير الذي ينسجم مع فطرة التوحيد ويزكي نفسه ويرتفع بها عن جانب الشر وسبله. فإنه يكون من المفلحين الفائزين الذين أحسنوا الإختيار.

قال تعالى:

﴿ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها﴾(٥٧).

أما الذين اختاروا السبيل الأخرى وهي جانب الفجور والشر في النفس الإنسانية فإنهم خالفوا الفطرة التي عليها النفس الإنسانية، كما ابتعدوا عن النهج الإلهي القويم الذي بعثه الحق هدى ونورا للناس أجمعين، فهذه النفس التي اختارت، اتباع جانب الشر تأمر بعمل السوء وكل ما يسوق إلى دروب الشر، لذلك سماها الحق سبحانه وتعالى بالنفس الأمارة بالسوء.

قال تعالى:

﴿وما أبرّئ نفسي إن النّفس لأمّارة بالسّوء إلا ما رحم ربّي إن ربّي غفور رحيم﴾(٥٨).

فهذه النفس الأمارة بالسوء عندما تبعث للحساب والعقاب في اليوم الآخر وتجد جميع ما عملت من أعمال سيئة وشريرة محضرا تبدأ بالجدال والحسرة على ما قدمت من أعمال، وتود أن تفتدي ذاتها

بكل شيئ، ولكن دون جدوى لأن جهنم بانتظارها لتجد سوء العذاب وأشد الوثاق وكل ما يسؤوها.

وفي ضوء ما تقدم من حقائق حول أنواع الذات الإنسانية فإن الحق سبحانه وتعالى خاطب كلا منهما بصفات مختلفة عن الصفات الأخرى التي وصف بها النفس الأخرى فنجد في كتابه العزيز الأوصاف المتعددة والمتجانسة التي يصف بها الحق سبحانه الذين استجابوا إلى ندائه وزكوا أنفسهم باتباع جانب التقوي والخير، إنه سبحانه وتعالى يصفهم بحزب الله، والفئة المنيبة، والمؤمنين، والمفلحين، والعالمين، والمسلمين، والمتقين، والفائزين، والمتوسمين، وأولياء الرحمن، وعباد الرحمن، والموقنين، والصادقين، وأصحاب اليمين، والمقربين، والصالحين، والمهتدين، والمحسنين، والعاقلين، والصابرين، وأولى الألباب، والمتطهرين، والقانتين، وأولى الأبصار،والمنفقين، والمتسغفرين، والشاكرين، والمتوكلين، والأبرار، والمقسطين، وأصحاب الجنه، وأهل الفقه، والراشدين، والطيبين، والخاشعين، والمخبتين، والأوابين، وجميع هذه الصفات المؤثله المجيدة تدل على حسن أعمالهم الخيرة التي تتفق مع دين الفطرة، دين التوحيد.

أما النوع الثاني من النفوس البشرية فقد وصفها الحق سبحانه وتعالى بأوصاف دقيقة تدل على ما تقوم به من أعمال وأنماط سلوكية متعددة. فجاء وصفهم في كتاب الله سبحانه وتعالى بأنهم حزب الشيطان، والفئة المديرة، والخراصون، والكافرون،

والكاذبون، والضالون، والفاسقون، والمنافقون والخاسرون، والمستكبرون، والفاجرون، والجاهلون، وأولياء الشيطان، والمسرفون، والمعرضون، والمدبرون وأصحاب الشمال. وفئة الغاوين، وجنود أبليس، والمجرمون، والمفسدون، والسفهاء، والمشركون، والمعتدون، والمفترون، والماكرون، والجاحدون، وأصحاب السعير، والغافلون، وأصحاب النار، والساهون، والطاغون، والخبيثون، والمرتابون، والمبلسون، والكالحون.

ومما تجدر الإشارة إليه أن أغلب الناس اختاروا بمحض إرادتهم أن يكونوا من الفئة الثانية المناهضة للفطرة الإنسانية، وهي التي اتخذت من عدو الإنسانية وليا من دون الله سبحانه وتعالى. ويبدو ذلك بوضوح في الآيات القرآنية الحكيمة التالية:

قال تعالى:

﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلّوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظنّ وإن هم إلا يخرصون﴾(٥٩).

قال تعالى:

﴿ولقد صرّفنا للنّاس في هذا القرآن من كلّ مثل فأبى أكثر النّاس إلا كفوراً﴾(٦٠).

قال تعالى:

﴿إن السّاعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر النّاس لا يؤمنون﴾(٦١).

قال تعالى:

﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتّبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنّما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من النّاس لفاسقون﴾(٦٢).

قال تعالى:

﴿وما أكثر النّاس ولو حرصت بمؤمنين﴾(٦٣).

قال تعالى:

﴿الله الذي جعل لكم اللّيل لتسكنوا فيه والنّهار مبصرا إنّ الله لذو فضل على النّاس ولكن أكثر النّاس لا يشكرون﴾(٦٤).

لذلك فإن القسم الأكبر من الناس الذين صدفوا عن طريق الحق المبين واتبعوا شهواتهم وأهوائهم التي استخدمها إبليس وقبيله لإغواء الإنسان وإبعاده عن الصراط المستقيم سيكون مصيرهم في نارجهنم، ويشهد على ذلك قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ولقد ذرأنا لجهنّم كثيرا من الجنّ والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هو الغفلون﴾(٦٥).

قال تعالى:

﴿ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجنّ قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجّلت لنا قال النّار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم﴾(٦٦).

"أكثر من الشيئ أو الفعل واستكثر منه إذا أتي بالكثير، واستكثار الجن من الإنس ليس من جهة أعيانهم فإن الآتي بأعيانهم في الدنيا والمحضر لهم يوم القيامة هو الله سبحانه، وإنما للشياطين والاستكثار مما هم مسلطون عليه وهو إغواء الإنس عن طريق ولايته عليهم وليست بولاية إجبار واضطرار بل من قبيل التعامل بين الطرفين يتبع التابع المتبوع ابتغاء لما يرى في اتباعه من الفائدة ويتولى المتبوع امر التابع ابتغاء لما يستدر من النفع في ولايته عليه وإدارة شؤونه، فللجن نوع التذاذ من إغواء الإنس والولاية عليهم، وللإنس نوع من التذاذ من اتباع الوساوس والتسويلات ليستدروا بذلك اللذائذ المادية والتمتعات النفسانية. وهذا هو الذي يعترف به أولياء الجن من الإنس بقولهم: ربنا استمتع بعضنا ببعض فتمتعنا بوساوسهم وتسويلاتهم من متاع الدنيا وزخارفها، وتمتعوا منا بما كانت تشتهيه أنفسهم حتى آل أمرنا الى ما آل اليه"(٦٧).

وهناك حقيقة هامة لابد من الإشارة اليها وهي أن العلاقة بين الفئتين أو النوعين من النفس الإنسانية علاقة تبادلية ومستمرة، فالنفس الأمارة بالسوء قد تعدل عن مسارها الخاطئ وتتبع طريق الحق والنور

فتصبح هذه النفس لوامة بالدنيا ومطمئنة في الآخرة اذا ما فارقت الحياة الدنيا وهي مستقرة على سبيل الرشد والهداية وعلى هذا الأساس كانت مهمة الأنبياء والرسل وهي إخراج الناس من الظلمات إلى النور كما أن مهمة الدعاة هي توضيح سبل الحق للناس وتحريرهم من طرق الضلالة وتوجيههم إلى طريق الحق والنور.

وفي المقابل قد نجد نفوسا مؤمنة قد تركت الايمان وذهبت الى طريق الغي والضلال مدبرة عن الحق بعد أن عاشت في ظلاله لتصبح نفسا أمارة بالسوء بعد أن كانت وهي جاثمة على طريق الخير نفسا لوامة، ودليل ذلك يكمن في مخاطبة الحق سبحانه وتعالى للذين كفروا بعد أيمانهم في الآيات القرآنية الحكيمة التالية:

قال تعالى:

﴿... ومن يتبدّل الكفر بالإيمان فقد ضلّ سواء السّبيل﴾(٦٨).

قال تعالى:

﴿إنّ الذين كفروا بعد إيمانهم ثمّ ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالّون﴾(٦٩).

قال تعالى:

﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذّب طائفة بأنّهم كانوا مجرمين﴾(٧٠).

وفي ضوء ما اوردنا من حقائق حول قضية أنواع النفس الإنسانية يجب على العلماء والباحثين أن يميزوا بين النوعين عند

الشروع بدراساتهم الإنسانية حول الإنسان من أجل الوصول إلى حقيقة الأمر والهدف المنشود الذي تسعى اليه الدراسة. هذا بجانب تسهيل مهمة تعميم نتائج الدراسات لتشمل فقط نوع الفئة التي أجريت عليها الدراسة وليس تعميمها على الناس كافة أو على كلا النوعين من الناس. لأننا وجدنا أن هناك تفاوتا كبيرا بين النوعين من حيث الاعتقاد وأنماط السلوك والصفات العامة التي تميز كل نوع بالرغم من وحدة الصفات التشريحية والفسيولوجية بين الطرفين.

القضية السابعة ـ الذات الإنسانية وقدراتها الذاتية

هناك نوعان من القوي في هذا الوجود، قوة مطلقة وهي التي تنفذ إلى كل ما تريد ولا يحول أمام إرادتها أي حاجز أو مانع لأنها تستطيع أن تفعل كل ما تشاء. ولا تستطيع أن تقف أمام هذه القوة أي قوة أخرى، وهذه القوة بحكم العقل والمنطق واحدة لا يجوز تعددها، لأن تعددها ينفي عنها صفة الطلاقة في الفعل والإرادة لما ينتج من اختلاف في الارادة بين القوى في حالة تعددها، لذلك فإن القوة المطلقة هي واحدة، وهي الذات الإلهية، لذلك جاء وصف الحق سبحانه وتعالى لذاته بأنه أحد، ولم يضاهه أحد، والقادر على كل شيئ حيث يقول له كن فيكون.

أما بالنسبة إلى النوع الثاني فهي القوة المقيدة وهي التي تجسد فيها من قدرات ما يوصلها إلى حد معين لا تستطيع أن تتعداه، لذلك فهي مقيدة بحكم طبيعتها. وهذا النوع متعدد لأن جميع المخلوقات التي نعرفها أو لانعرفها ركبت فيها قدرات معينة تجعلها

قادرة على القيام بأعمال معينة محددة، وهناك من الأمور والأعمال التي لا تستطيع أن تصل اليها بحكم قدراتها المقيدة. وبعد الإنسان إحدى هذه القوة المقيدة لإنه مخلوق من مخلوقات الحق سبحانه وتعالى، وكل ما هو مخلوق يعد محدود القدرة والطاقة. لذلك جاء وصف الحق سبحانه وتعالى للإنسان بأنه مخلوق ضعيف، وجهولٌ، وظلوم، ويبدو ذلك واضحا جلياً في قول الباري عزوجل في الآيات التالية:

قال تعالى:

﴿والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتّبعون الشّهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله أن يخفّف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا﴾(٧١).

"كون الإنسان ضعيفا لما ركب الله فيه من القوى الشهوية التي لا تزال تنازعه في ما تتعلق به من المشتهيات، وتبعثه إلى غشيانها فمن الله عليهم بتشريع حليه ما تنكسر به سورة شهوتهم بتجويز النكاح"(٧٢).

"فماذا يريد الله بالناس، حين يبين لهم منهجه، ويشرع لهم سنته؟ إنه يريد أن يتوب عليهم، يريد أن يهديهم، يريد أن يجنبهم المزالق، يريد أن يعينهم على التسامي في المرتقى الصاعد إلى القمة السامقة، وماذا يريد الذين يتبعون الشهوات، ويزينون للناس منابع ومذاهب لم يأذن بها الله، ولم يشرعها لعباده؟ إنهم يريدون لهم أن يميلوا ميلا عظيما عن المنهج الراشد، والمرتقى الصاعد والطريق المستقيم"(٧٣).

قال تعالى:

﴿إنّا عرضا الأمانة على السّموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنّه كان ظلوماً جهولا﴾(٧٤).

"إنها امانة ضخمة حملها هذا المخلوق الصغير الحجم، القليل القوة، الضعيف الحول، المحدود العمر، الذي تناوشه الشهوات والنزعات والميول والأطماع. وإنها لمخاطرة أن يأخذ على عاتقه هذه التبعة الثقيلة. ومن ثم "كان ظلوما" لنفسه "جهولا" لطاقته هذا بالقياس الى ضخامة ما زج بنفسه لحمله"(٧٥).

ومن دلائل ضعف الإنسان أن الحق سبحانه وتعالى عندما أمر بهبوطه مع عدوه الأشر إبليس، وعده الحق سبحانه وتعالى أن يبعث له هدى يقوده إلى طريق الحق والنور، ويحرره ويشد من ساعده في مقاومة عدوه اللدود.

قال تعالى:

﴿قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدوّ فإما يأتينّكم منّي هدى فمن اتّبع هداي فلا يضلّ ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإنّ له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾(٧٦).

وقد بين الحق سبحانه وتعالى حاجة الإنسان إلى خالقه وغنى الخالق عن مخلوقاته، لأن المطلق لا يحتاج إلى عون مقيد، والمقيد لا بد من أن يحتاج عون غيره، وبالذات القوة المطلقة.

قال تعالى:

﴿يا أيها النّاس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنيّ الحميد﴾(٧٧).

إن الحجج الكبرى التي توضح عجز الإنسان، ومدى قصوره، ومحدودية وسائله والابعاد التي يستطيع أن ينفذ اليها ـ تبرز بوضوح وجلاء في تحدي الحق سبحانه وتعالى للذين يقاومون ويعارضون نهج الحق والحقيقة وينكرون وجود الله، ويشككون في كتابه الحكيم ومصدره. إنه سبحانه وتعالى تحداهم بطريقة تدل على ضعفهم، وعلى اتباعهم سبل الشهوة والضلالة، وابتعادهم عن طريق الحق والنور. وهذا التحدي بدأ في السابق، وما زال قائما، وسيبقي في المستقبل. وهذا جميعه يدل على ضعف الإنسان ومصداقية القرآن وكمال مصدره الإلهى، والآيات التالية تبين بوضوح التحدي الإلهى الساطع للإنسان.

قال تعالى:

﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾(٧٨).

قال تعالى:

﴿وإن كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾(٧٩).

قال تعالى:

﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مّن مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾(٨٠).

القضية الثامنة ـ الذات الإنسانية وحب الشهوات

بين الحق سبحانه وتعالى لنا حقيقة الإنسان على أنه مركب من مجموعة من الشهوات والحاجات التي تدفعه باستمرار إلى القيام بأنماط سلوكية معينة لاشباع تلك الشهوات والحاجات التي جبلت عليها الذات الإنسانية، ومن طبيعة الذات الإنسانية أنها تحب الشهوات وهذا الحب لها يبدو بوضوح في قوله تعالى:

﴿زيّن للنّاس حبّ الشّهوات من النّساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذّهب والفضّة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾(٨١).

هذا بالإضافة إلى أن الحق سبحانه وتعالى قد زين الحياة الدنيا بجميع الأمور التي تشد الإنسان نحوها ليقرر سبحانه وتعالى طبيعة ونوع الاختيار الذي جسده في الحياة الدنيا ليختار الإنسان سبيله وفق الهدف الذي خلق من أجله، والفطرة التي فطر عليها، وحرية الاختيار، وجانبي التقوى والفجور الموجودين داخل النفس الإنسانية، وحب الشهوات وزخارف الدنيا ومفاتنها، وسبيل الحق والنور التي وضحها الله سبحانه وتعالى للبشر من خلال رسله وكتبه. وفي ضوء

اختيار الإنسان في دار الفناء لإحدى السبيلين يتحدد مصيره في دار الخلود.

قال تعالى:

﴿إنّا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيّهم أحسن عملا﴾(٨٢).

ومن المؤسف حقا أن أغلب الناس قد فهموا حقيقة وجودهم في هذا الكون على قاعدة إشباع شهواتهم بأية طريقة، حتى أصبحت الحياة المادية الحديثة هي كل شيئ في نظر هؤلاء، فالآمال، والطموحات، والأهداف، والأمنيات، جميعها لا تتعدى إشباع شهواتهم وفق أي قانون أو نظام، كما أصبحت شتى المقاييس، والمعايير، والقيم، والأخلاق تقاس بمقدار تلبية تلك الشهوات والرغائب، حتى الدراسات الاجتماعية والنفسية للإنسان مازالت تدور حول الحاجات المادية للإنسان أما بالنسبة للذين أنابوا واستجابوا للهدى الذي بعثه الحق سبحانه وتعالى، وهم يمثلون النسبة القليلة من الناس، فانهم يلبون هذه الحاجات الشهوية بالطرق والوسائل التي بينها الحق سبحانه وتعالى من خلال نهجه المنير الذي بعثه لنا هدى ورحمة عن طريق رسله وأنبيائه، وبهذا تنكسر حدة هذه القوى الشهوية عن طريق الحلال الذي بينه سبحانه وتعالى في الحياة الدنيا، ومن ثم يلاقون ما هو أفضل واسمى من الشهوات في انتظارهم في دار السلام والخلود.

قال تعالى:

﴿قل أؤنبّئكم بخير من ذلكم للذين اتّقوا عند ربّهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وازواج مطهّرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد﴾(٨٣).

القضية التاسعة ـ الذات الإنسانية والموت

تعد قضية الموت من أكثر القضايا التي شغلت الإنسان عبر تاريخه وكانت وما زالت مبعث حيرته، فهي كالسيف المصلت على رقاب كافة الناس، حيث استحال على الإنسان الفرار من تجربة الموت. فهي تجربة يجب ان يخوضها كل من وهب الحياة، فهذا الأمر فيه قرار إلهي قطعي جازم، ويبدو ذلك واضحا في قوله تعالى:

﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفّون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النّار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدّنيا إلا متاع الغرور﴾(٨٤).

قال تعالى:

﴿كلّ نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾(٨٥).

القضية العاشرة والأخيرة ـ الذات الإنسانية والبعث والخلود

تعد قضية البعث والخلود من المسائل الكبرى التي أثارت اهتمام الإنسان عبر تاريخه المديد، لما لهذه القضية من آثار واسعة النطاق على معتقدات الإنسان وأنماط سلوكه في الحياة الدنيا. وإذا ما تأملنا تاريخ البشر مع أنبياء الحق سبحانه وتعالى نجد هذه القضية

قد أخذت مكانا بارزا وأساسيا في مادة النقاش والحوار الذي كان يجري بين الطرفين.

كما أننا نلاحظ أن اغلب الناس كانوا يكذبون الأنبياء والرسل بمختلف الطرق والأساليب بما يتصل من معلومات حول قضية البعث والخلود، ومن المؤسف جدا أن اغلب الناس في الوقت الحاضر هم في شك، وريبة، وإنكار لقضية البعث والخلود، ولكن الذي خلق الوجود بكل ما فيه من مخلوقات يبين لنا حقائق تلك القضية، وسوف نختار نماذج من الأيات القرآنية الحكيمة لكثرتها لتوضح لنا الحقائق المتصلة بالبعث والخلود.

قال تعالى:

﴿ونفخ في الصّور فصعق من في السّموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾(٨٦).

قال تعالى:

﴿يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنّهم إلى نصب يوفضون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون﴾(٨٧).

قال تعالى:

﴿وأزلفت الجنّة للمتّقين غير بعيد هذا ماتوعدون لكل أوّاب حفيظ من خشي الرّحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود﴾(٨٨).

قال تعالى:

﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النّار هم فيها خالدون﴾(٧٨).

وخلاصة القول إن الحق سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان في هذه الصورة البديعة الفريدة وميزه عن سائر مخلوقاته بحرية الاختيار بعد أن وهبه الملكة العقلية، وبين له الهدف الأسنى من خلقه وهو التوجه بالعبادة إلى الباري عزوجل، وفطره على دين التوحيد، كما ركب فيه جانبي الخير والشر، وبين له سبيل الحق وسبل الضلالة يختار الإنسان بكامل إرادته، بين السبيل المؤدية الى الحق وسدرة الصواب، والسبيل المؤدية الى الضلالة والخسران المبين، كما زين الحق سبحانه وتعالى للذات الإنسانية حب الشهوات المتعلقة بالحياة الدنيا. وفي ضوء هذه المعطيات جميعا يخوض الإنسان تجربة الحياة التي تعد الاختيار الدقيق الذي سوف يجتازه جميع الناس إما بالفوز المبين وإما بالخسران العظيم.

كما تبين أن النفوس البشرية كافة سوف تخوض تجربة الموت ومن ثم تجربة البعث للثواب والعقاب وأخيرا سيجد الإنسان مصيره الخالد إما في دار السلام والخلود وإما في نارجهنم.

كذلك أن هناك نوعين من الذات الإنسانية، يتميز كل نوع عن الآخر بالمعتقدات الأساسية، والأنماط السلوكية، وأغلب القضايا الاجتماعية، هذا مع التشابه التام بينهما في الآمور التشريحية والفسيولوجية، وهذه القضية بالذات يجب أن تراعى من قبل الباحثين

في مجال الدراسات الإنسانية سواء في علم الاجتماع، أو علم النفس، أو شتى المجالات التربوية، أو المجالات السياسية، أو المجالات الاقتصادية، أو المجالات الثقافية، لأن لكل نوع من أنواع الذات الإنسانية أهدافه العامة التي يسعى إلى تحقيقها في الحياة الدنيا، وهذه الأهداف العامة انبثقت من المعتقدات الأساسية لكل نوع، وهذا هو سر الاختلاف.

وهناك ملاحظة هامة لابد من الإشارة إليها وهي أننا تطرقنا في هذه الدراسة فقط إلى أهم القضايا المتصلة بطبيعة الذات الانسانية وليس إلى جميع القضايا المتعلقة بالذات الإنسانية لصعوبة بحثها جميعا في دراسة واحدة.

الهوامش

١- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٩٨٣.

٢- يوسف كرم، ١٩٨٣، مرجع السابق.

٣- محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، الطبعة الأولى، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٢، ص ٢٠٢.

٤- أحمد علي الفنيش، اصول التربية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٩٨٢، ص ٨٣-٨٤.

٥- أحمد علي الفنيش، ١٩٨٢، مرجع سابق، ص ٨٦.

٦- أحمد علي الفنيش، ١٩٨٢، مرجع سابق، ص ٨٦.

Johns. Brubacher, Modern philosphies of Education. New York: Mc Graw-Hill Book, Inc. 1964, pp. 117-118.

٨- سيد إبراهيم الجيار، التوجيه الفلسفي والاجتماعي للتربية، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٥٧.

٩- فيليب فينكس، فلسفة التربية- ترجمة وتقديم الدكتور محمد لبيب النجيحي- دار النهضة العربية، ١٩٦٥، ص ٦٩٩.

١٠- إبراهيم الشافعي، الإشتراكية العربية كفلسفة للتربية، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧١، ص ١٦٠.

١١- توفيق الطويل، اسس الفلسفة، دار النهضة، القاهرة، ص ٢٤٨.

١٢- إبراهيم الشافعي، ١٩٧١، مرجع سابق، ص ١٦٠.

١٣- عمر شيباني، مقدمة في فلسفة التربية الاسلامية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٩٧٥، ص ٩٦.

١٤- أحمد علي الفنيش، ١٩٨٢، مرجع سابق، ص ٩٦-٩٨.

15- Robert E. Mason, Contemporary Educational Theory. New York: David Mc Kay Company, Inc. 1972, p 238.

١٦- محمد لبيب النجيحي، مقدمة في فلسفة التربية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٢٤٤.

17- Philips H. Phenix, Realms of Meaning. New york: Mc Graw-Hill Book Company, Inc. 1964, pp. 17-19.

١٨- الكسيس كارل، الإنسان ذلك المجهول - تعريب شفيق اسعد، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨٣.

١٩- إريك فروم، الدين والتحليل النفسي، ترجمة فؤاد كامل، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٧٧، ص ١١.

٢٠- حامدعبد السلام زهران، علم نفس النمو، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٢٥٣.

٢١- ميخائيل اسعد، ومالك مخول، مشكلات الطفولة والمراهقة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٢، ص ٢٣٢-٢٣٣.

٢٢- سعدية بهادر، من انا؟ البرنامج التربوى النفسى "من أنا" الموجهة لأطفال الرياض بين النظرية والتجربة، مؤسسة الكويت للتقديم العلمي، الكويت، ١٩٨٣، ص ٤٦.

23- Gersild, A.T. The psychology of Adolesence. 2nd Ed. New York: The Macmillan Company, 1963. pp.29.

24- Burns, J.S. The self concept in theory, measurement, Development, and bahavior. New York: Longman, Inc. 1979.

٢٥- عبدالرحمن حسن الميداني، الأخلاق الاسلامية وأسسها، الطبعة الأولى – دار القلم – بيروت، ١٩٧٩، ص ٣٠٢-٣٠٨.

٢٦- سورة الانسان، آية ١.

٢٧- سورة الأنبياء، آية ٣٠.

٢٨- سورة النور، آية ٤٥.

٢٩- سورة الفرقان، آية ٥٤.

٣٠- سورة آل عمران، آية ٥٩.

٣١- سورة فاطر، آية ١١.

٣٢- سورة غافر، آية ٦٧.

٣٣- سورة الروم، آية ٢٠.

٣٤- سورة السجدة، آيات ٦-٩.

٣٥- سورة الصافات، آية ١١.

٣٦- سورة الحجر، آية ٢٦.

٣٧- سورة الرحمن، آية ١٤.

٣٨- سورة ص، آية ٧١-٧٢.

٣٩- سورة الاعراف، آية ١٨٩.

٤٠- سورة الزمر، آية ٦.

٤١- سورة النساء، آية ١.

٤٢- سورة المؤمنون، آيات ١٢-١٤.

٤٣- سورة الذاريات، آيتان ٥٦-٥٧.

٤٤- سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد السادس، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ١٩٨١، ص ٣٣٨٦- ٣٣٨٧.

٤٥- سورة الروم، آية ٣٠.

٤٦- سورة الاعراف، آية ١٧٢.

٤٧- سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد الثالث، دار الشروق، بيروت، ١٩٨١، ص ١٣٩١.

٤٨- سورة الشمس، آيتان ٧-٨.

٤٩- سورة البلد، آية ١٠.

٥٠- سورة يونس، آية ٩٩.

٥١- سورة يونس، آية ١٠٨.

٥٢- سورة الزمر، آية ٤١.

٥٣- سورة الاعراف، آيتان ٣٥-٣٦.

٥٤- سورة البقرة، آية ٢٥٦.

٥٥- سورة القيامة، آيتان ١-٢.

٥٦- سورة الحجر، آيات ٢٧-٣٠.

٥٧- سورة الشمس، آيات ٧-١٠.

٥٨- سورة يوسف، آية ٥٣.

٥٩- سورة الانعام، آية ١١٦.

٦٠- سورة الاسراء، آية ٨٩.

٦١- سورة غافر، آية ٥٩.

٦٢- سورة المائدة، آية ٤٩.

٦٣- سورة يوسف، آية ١٠٣.

٦٤- سورة غافر، آية ٦١.

٦٥- سورة الاعراف، آية ١٧٩.

٦٦- سورة الانعام، ١٢٨.

٦٧- السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، المجلد السابع، ١٩٧١، ص ٣٥٢.

٦٨- سورة البقرة، آية ١٠٨.

٦٩- سورة آل عمران، آية ٩٠.

٧٠- سورة التوبة، آية ٦٦.

٧١- سورة النساء، آيتان ٢٧-٢٨.

٧٢- محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، الجزء الرابع، ١٩٧٤، ص ٢٨٢.

٧٣- سيد قطب، في ظلال القرآن، الجزء الثاني، دار الشروق، ١٩٨١، ص ٦٣١.

٧٤- سورة الاحزاب، آية ٧٢.

٧٥- سيد قطب، في ظلال القرآن، الجزء الخامس، دار الشروق، ١٩٨١، ص ٢٨٨٥.

٧٦- سورة طه، آيتان ١٢٣-١٢٤.

٧٧- سورة فاطر، آية ١٥.

٧٨- سورة هود، آية ١٣.

٧٩- سورة البقرة، آية ٢٣.

٨٠- سورة يونس، آية ٣٨.

٨١- سورة آل عمران، آية ١٤.

٨٢- سورة الكهف، آية ٧.

٨٣- سورة آل عمران، آية ١٥.

٨٤- سورة آل عمران، ١٨٥.

٨٥- سورة الانبياء، آية ٣٥.

٨٦- سورة الزمر، آية ٦٨.

٨٧- سورة المعارج، آيتان ٤٣-٤٤.

٨٨- سورة ق، آية ٣١-٣٤.

٨٩- سورة البقرة، آية ٣٩.

المراجع العربية

١- ابراهيم الشافعي، الاشتراكية العربية كفلسفة للتربية، مكتبة الانجلو المصرية: القاهرة، ١٩٧١.

٢- أحمد علي الفنيش، اصول التربية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٩٨٢.

٣- أريك فروم، الدين والتحليل النفسي، ترجمة فؤاد كامل، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٧٧.

٤- الكسيس كارل، الانسان ذلك المجهول، تعريب شفيق اسعد، مكتبة المعارف، بيروت ، ١٩٨٣.

٥- توفيق الطويل، اسس الفلسفة، دار النهضة، القاهرة.

٦- حامد عبد السلام زهران، علم نفس النمو، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٧.

٧- سعدية بهادر، من انا؟ البرنامج التربوي النفسي لخبرة من انا الموجهة لاطفال الرياض بين النظرية والتجربة، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ١٩٨٣.

٨- سيد ابراهيم الجيار، التوجيه الفلسفي والاجتماعي للتربية، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٧٨.

٩- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق ، القاهرة، بيروت، ١٩٨١.

١٠- عبد الرحمن حسن الميداني، الاخلاق الاسلامية واسسها، الطبعة الاولى، دار القلم، بيروت، ١٩٧٩.

١١- عمر الشيباني، مقدمة في فلسفة التربية الاسلامية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٩٧٥.

١٢- فيصل بدير عون، الفلسفة الاسلامية في المشرق، مكتبة الحرية الحديثة، القاهرة، ١٩٨٢.

١٣- فيليب فينكس، فلسفة التربية، ترجمة وتقديم الدكتور محمد لبيب النجيحي، دار النهضة العربية، ١٩٦٥.

١٤- محمد ابو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام، مكتبة دار المعرفة، الاسكندرية، ١٩٨٦.

١٥- محمد جمعة، تاريخ فلاسفة الاسلام في المشرق والمغرب، مكتبة المعارف، مصر، ١٩٢٧.

١٦- محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٩٧١.

١٧- محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، الطبعة الأولى، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٢.

١٨- محمد لبيب النجيحي، مقدمة في فلسفة التربية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٢.

١٩- ميخائيل اسعد، ومالك مخول، مشكلات الطفولة والمراهقة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٢.

المراجع الاجنبية

1- Gersild, A.T. The psychology of Adolesence. 2nd Ed. New York. The Macmillan Company, 1963.

2- Burns, J.S. The self concept in theory, meaurement, development, and behavior. New York, Longman, Inc. 1979.

3- John S. Brubacher, Modern philosophies of Education. New York: Mc Graw-Hill Book, Inc. 1969.

4- Philips H. phenix, Realms of Meaning. New York: Mc Graw- Hill Book Company, Inc. 1964.

5- Robert E. Mason, Contemporary Educational Theory. New York: David Mc Kay Company, Inc. 1972.